جامعه الملك سعود
كلية الآداب
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):3620 – 1018
ردمد (النشر الالكتروني): 8339-1658

King Saud University
College of Arts
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3620
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (32)، ع (3)، ص ص 63-81، جامعة الملك سعود، الرياض (2020م/1441هـ)
Journal of Arts, Vol. 32 (3), pp 63-81, © King Saud University, Riyadh (2020 /1441H.)

تأثير اللغة العربية في المكوّن الثقافي الإيراني: مقاربة تحليلية

محمد بن صقر السُلمي
استاذ الأدب والتاريخ الايراني المعاصر بقسم لغات الشعوب الاسلامية وآدابها، كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى

(قدم للنشر في 1441/8/5هـ، وقبل للنشر في 7/ 1442/5هـ)

ملخص البحث: تسعى هذه الدراسة لتقديم قراءةٍ نافذةٍ للكشف عن جوهر ومظاهر تأثير اللغة العربية في المكون الثقافي الإيراني، باستبصار خلفياتها ودوافعها وعواملها، وتحديد وتحليل الاستراتيجية التي تركّز على وصف طبيعة التأثير بناءً على النماذج الواردة. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واستعانت بالمنهج التاريخي للتعرف على حالة الدراسة، ووضعها في إطارها الصحيح، وتفسير الظروف المحيطة بها. ووَفقًا لذلك خلُصت الدراسة إلى عددٍ من النتائج، أهمها: أنَّه إذا كان تأثير اللغة الفارسية (الأم) في اللغة العربية (الثانية) غالبًا ما يُوصف بأنَّه سلبيٌّ بالنظر إلى احتمال الأخطاء النحوية والمعجمية؛ فإنَّ تأثير اللغة العربية في المكون الثقافي الإيراني يغلب أن يكون إيجابيًا؛ نظرًا إلى أنَّ العربية تُحسّن الأساس المعرفي وتؤثّر في ذلك المكوّن الذي تُهيمن عليه اللغة الأم. كما أنَّ تأثير اللغة العربية في المكوّن الثقافي الإيراني ينطلق من المكوّن السوسيولساني، وأثر الأدب العربي، وتأثير الأيديولوجيا بما يختلف ظاهرًا عن تأثير المكون الثقافي الإيراني في اللغة العربية إذ أنَّ تأثيرها أوضحُ في الجانبين: الإدراكيّ والتداولي منه في الجانبين: التركيبي والمعجمي. وأظهرت الدراسة أنَّ تأثير اللغة العربية في نمو المكون الثقافي الإيراني هو احتمالٌ قائمٌ على أنَّ أنواع دراسة اللغة العربية تؤدي إلى تحقق الكفاية المتعددة؛ لأنَّها تُحْدِث تغييراتٍ في نظام ثنائي المعرفة إذا كانت عملية اكتساب عناصرها مكثّفة وثريّة المحتوى، ومتصلة بدوافعها.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، اللغة الفارسية، المكون الثقافي الإيراني، المكون السوسيولساني، أثر الأدب العربي، تأثير الأيديولوجيا.

Arabic Language's Impact on Iranian Cultural Component: A Comparative Analysis

Mohammed Sagar Alsulami

Assistant Professor of Persian literature and modern history of Iran, at department of Languages and Arts of Islamic nations, College of Arabic Language and Literature, Umm Al-Qura University.

(Received:5/8/1441 H, Accepted for publication 7/ 5/1442 H)

Abstract. The study provides an in-depth reading of the impact of Arabic language on Iran's culture by disclosing its backgrounds, motives, and factors, and identifies and analyzes the strategy, which focuses on describing the nature of this impact based on the available samples. The study applies descriptive-analytical and historical methods to provide a comprehensive review and accurate interpretations of the hypothesis. The study concludes that while the impact of Persian language (mother tongue) on Arabic language (second language) is susually descrived as being negative given the syntactic and semantic errors, the impact of Arabic language on the Iranian culture is often positive because it improves the basic knowledge and impacts the basic components of the mother language. Further, the impact of Arabic language on Iranian culture stems from the Arabic socio-linguistics, literature, and ideology. It is different from the impact of Iranian culture on Arabic language which has more apparent cognitive and pragmatic aspects than structural and semantic ones. It also concludes that the impact of Arabic language on the evolution of Iranian culture is based on that the fields of Arabic language which have multidimensional impacts —because Arabic language influences the dual-cognitive system when its acquisition is intensive, rich and related to its motives.

Keywords: Arabic language, Persian language, Iranian culture, sociolinguistics, impact of Arabic literature, ideological impact.

المقدمة

تأثَّرت اللغة الفارسية باللغة العربية على إثر العلاقات المختلفة التي سادت بين العرب والأريين. ويذكر التاريخ أنَّ العلاقات بين الفرس والعرب بدأت منذ القرن الثالث قبل الميلاد، بفضل العلاقات التجارية. جاء التأثير اللغوي للعربية على الفارسية على مرحلتين: **الأولى**، عهد الساسانيين، خاصة في عهد خسرو الأول. **والثانية**، عند ظهور الإسلام وامتداده إلى بلاد فارس وخراسان. لكن التأثير الأكبر للعربية على الفارسية حدث بعد الإسلام، فاللغة الفارسية عندما واجهت هذه اللغة لم تندثر وإنّما أصبحت أكثر نضجًا وسلاسة.

أما الشعر الفارسي فقد وقع تحت تأثير الشعر العربي، بقوالبه الشعرية ومضامينه ومتأثِّرًا بعلوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، والعروض والقافية التي دخلت إلى اللغة الفارسية بعد أن استعارتها من اللغة العربية. ويتجلّى الأدب والشعر الفارسي من خلال عملية التداخل العربي ـ الإيراني عبر المسيرة اللغوية العميقة وهي التي هيأت الأرضية لولادة أدبٍ متداخلٍ ترعرع بفعل الاختلاط الثقافي بين الشعبين العربي والفارسي.

أما تأثير الأيديولوجيا اللغوية العربية في الفارسية فجاء بإدراك إيران ما بعد الثورة لأهمية اللغة العربية في تعزيز شرعيتها ووجودها في المنطقة العربية خاصةً لدى المنتمين للمذهب الشيعي، باعتبارها لغة القرآن والحديث والعلوم الشرعية، وسرديات المذهب الشيعي. ولذا أدركت النخبة الدينية أهمية العربية بالنسبة للدولة والهويَّة والثقافة الإيرانية الجديدة المراد تأسيسها بعد الثورة، وهذا كان الهدف الداخلي لترسيخ اللغة العربية مؤسساتيًّا، أما الهدف الخارجي فكان تعزيز حضور إيران المذهبيّ في الإقليم العربي خاصة الحواضن الشيعية.

المبحث الأول
اللغة العربية في إيران من منطلق سوسيولساني

أولًا-مكانة وتأثير اللغة العربية في إيران

بدأ تعلُّم اللغة العربية في إيران منذ سقوط الإمبراطورية الساسانية ودخول الإسلام إلى بلاد فارس، حيث تُرجمت العديد من الكتب العربية إلى الفارسية ونبغ العشرات من الكتاب والشعراء والعلماء والفقهاء الإيرانيين الذين كتبوا آثارهم الأدبية وعلمهم باللغة العربية. وقد كانت اللغات الثلاث القديمة هي السائدة: الفارسية القديمة، لغة الأفستا، والبهلوية، قبل أن يفتح العرب البلاد الفارسية في القرن السابع الميلادي ويؤثِّروا فيها هذا التأثير البالغ الذي شمل الدين واللغة والأدب والحياة والفكر. ومن المعروف تاريخيًا أنَّ اللغة الفارسية تغيَّرت من ناحية الخطِ بعد الفتح العربي الإسلامي لإيران؛ لاتخاذ الفُرس الخط العربي الذي يُمثِّل لغة القرآن، وسيلةً لكتابة لغتهم وعزوفهم عن الخطِ البهلوي الصعب الذي يُمثِّل الديانة الزرادشتية، وكذلك لدخول الألفاظ العربية الكثيرة فيها، فظهرت اللغة الفارسية الإسلامية لغةً قوميةً في القرن الثالث الهجري بعد استقلال الدويلات الفارسية لبُعدها عن مركز الخلافة العربية. ولم تكتف الفارسية الجديدة بالحرف العربي بل أضافت إليه أربعة حروف أخرى تمثِّل أصواتًا خاصة بالفارسية لا يقابلها رسمًا في العربية شيء، وهذه الحروف هي (پ، چ، ژ، گ)، كما تغيَّر لفظ الحرف العربي حين دخوله إلى الفارسية، فمثلًا أصبح حرف الطاء يُلفظ تاءً، وحرف الضاد يُلفظ زايًا، والثاء يُلفظ سينًا.

ويعدُّ من أبرز مَن خدم اللغة العربية من الفرس بوصفها لغة الحضارة والعصر، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي المعروف بسيبويه (760 - 793م)، واضع «الكتاب». برع سيبويه في معرفة علم النحو وأصوله وخباياه، وأضحى إمام المدرسة البصرية، وقد انطلق سيبويه يطلب النحو والعربية من العلامة الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب معجم «العين»، المعجم الأول للغة العربية، كما تعلَّم من الأخفش الأكبر أحد مشاهير النحو والعربية، وكذلك أبو عمرو بن العلاء وطبقته (بدوي، 2017).

هناك من الباحثين من أحصى عدد المفردات العربية في بعض النصوص في كتب التراث الفارسي بأنَّه في الصفحة الأولى من «تاريخ البيهقي» استخدم الكاتب 105 من الكلمات العربية من أصل 256 كلمة فارسية، وفي العصر الحديث منهم من أحصى 42 كلمة عربية في إحدى خطب شاه إيران من أصل 120 كلمة فارسية. وكانت اللغة الفارسية أكثر اللغات العالمية تأثرًا باللغة العربية وبدا تأثير العربية في آدابها وأشعارها وما زال الشعر الفارسي يُكتب على أوزان الخليل (الخالدي، 2015).

ثانيًا-تأثير المفردات العربية على اللغة الفارسية

لم تصبح اللغة العربية اللغة الرسمية في إيران لكنَّها لغة النخبة الكبيرة من المتنفّذين، والمثقفين والسياسيين، وفحول الشعر الفارسي ولغة الديوان. ومع مرور الزمن وتمسُّك النخبة من رجال بلاد فارس بإتقان اللغة العربية ومزجها باللغة والأدب الفارسي، أصبح للغة الفارسية شكلٌ وكيانٌ جديدان (قناة الكوثر،2017، يناير25). ويُعدُّ أكبر وأهم تأثير حُظيت به الفارسية هو اقتراضها عددًا كبيرًا لا حصر له من المفردات العربية التي تجذَّرت في جميع مجالات اللغة والأدب الفارسي وكذلك في لغة الحوار اليومية منذ نهاية القرن الرابع الهجري. وتاليًا نُشير إلى بعض هذه المفردات في مختلف المجالات، ومنها:

1-**كلمات ومصطلحات دينية** مثل: ركوع، سجده، قيام، ركعت، سلام، زكات، حج، صدقه، مؤمن، مشرك، مرتد، كافر، جهاد، منافق، آيت، قرآن، اقامت، عبادت، نكاح، طلاق، قبله، محراب، مناره، أذان، دعا، جنت، جهنم، قيامت، واجب، حلال، حرام، مكروه، مستحب، تشهد وغيرها.

2-**كلمات ومصطلحات إدارية** مثل: دولت، حكومت، مملكت، رعيت، ملت، خدمت، بيعت، خلافت، اطاعت، ادعا، اجراء، قاضي، طاغي، سلطان، طغيان، شحنه، شرطه، خليفه، حرس، استخفاف، اضطرار، كاتب، حصار وغيرها.

3-**كلمات عرفانية وصوفية** مثل: وحدانيت، بليت، هدايت، مشيت، كرامت، مداومت، غيبت، طريقت، ولايت، معرفت، توحيد، موحد، كشف، الطاف خفي، تجريد، فنا، مقامات، مجاهده، روحاني، إلهي، عارف، رباني وغيرها.

ثالثًا-دوافع تعلُّم اللغة العربية في إيران

تعتمد دوافع تعلُّم الإيرانيين للغة العربية على أنَّ الجانب الديني الذي عمل على استثمار المكوّن السوسيولساني انطلاقًا من علاقة اللغة العربية بالمجتمع الإيراني دينيًا، ودورها في بناء برامج ومناهج لتعليمها لهذا الغرض، وذلك من غير أن تؤثِّر على تغيير النظرة الشاملة للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية. وعلى الرغم من كل ذلك فإنَّ خطاب ما بعد

الثورة الإيرانية جاء متأثِّرًا بالمدِّ القومي التوسعي، أصبح يركِّز كذلك على وجوب تعلُّم اللغة الفارسية بوصفها لغة الثورة (الإسلامية) في العالم، بينما اللغة العربية هي لغة القرآن فقط. وتنص المادة (15) من الدستور الإيراني على أنَّ: «اللغة والكتابة الرسمية والمشتركة لشعب إيران هي الفارسية. ويجب أن تكون الوثائق والمراسلات والنصوص الرسمية والكتب الدراسية بهذه اللغة الرسمية، ولكن يجوز استعمال اللغات المحلية والقومية الأخرى في مجال الصحافة ووسائل الإعلام العامة، وتدريس آدابها في المدارس إلى جانب اللغة الفارسية» (دستور إيران 1979 - 1989، ص10).

وبهذا الامتداد التاريخي سعت الجهات المعنية بشؤون التعليم في إيران إلى توفير الأرضية لتعلُّم اللغة العربية وتحويلها إلى اللغة الثانية في البلاد من خلال فرضها كمادة مقررة في المدارس المتوسطة والثانوية بدءًا من السنة السادسة وهي السنة الأولى في الدراسة المتوسطة. هذه الأسباب هي التي جعلت اللغة العربية في إيران اللغة الثانية بعد اللغة الفارسية رغم وجود لغاتٍ أخرى قد يفوق عدد المتحدثين بها أعداد العرب كالتركية الآذرية والكردية.

من أجل خدمة الخطاب الإيراني الموجَّه، عمل النظام الإيراني خلال العقدين الماضيين على تخصيص ميزانياتٍ لإنشاء قنوات تلفزيونية وإذاعية باللغة العربية لمخاطبة الشارع العربي مثل قناة (العالم)، وقناة (الكوثر) وقناة (سحر)، فضلًا عن قناة أخرى وهي قناة (آي فيلم) لبثِّ الأفلام الإيرانية بعد ترجمتها ودبلجتها باللغة العربية. تأسَّست في إيران بعد الثورة عدة صحف عربية، منها صحيفتي الوفاق، وكيهان. وهناك أقسامٌ عربيةٌ نشطةٌ في وكالات أنباء (إيرنا) و(مهر) و(فارس) و(تسنيم). كما هناك إذاعة عربية تابعة لهيئة الإذاعة والتلفزيون، وكذلك مركز دراسات الخليج العربي ولديه قسم باللغة العربية وموقع على شبكة الإنترنت (خبرگزاری شبستان، 23 مرداد 1399ه. ش). ويوجد عدد من المجلات العربية المحكمة التابعة للجامعات الإيرانية متخصصة في الأدب العربي والبحوث والدراسات في اللغة العربية والبحوث في علوم القرآن والحديث (ضيغم، 23 مرداد 1399 ه. ش). بالإضافة إلى حوالي 14 معجمًا باللغتين العربية والفارسية (واژهگاه درباره زبان وترجمه، شهريور 1392ه.ش).

وهناك أيضًا حاجة طلاب الجامعات خاصةً القانون والعلوم الإسلامية للغة العربية، والجدول التالي يوضح أقسام اللغة العربية وآدابها في الجامعات الإيرانية:

جدول (1) قائمة أقسام اللغة العربية وآدابها في الجامعات الإيرانية

الرقم	الأقسام	المحافظة	الطلاب المقبولين سنويا بنين وبنات
1	قسم اللغة العربية في جامعة اراك	المحافظة المركزية	60
2	قسم اللغة العربية في جامعة اصفهان	اصفهان	35
3	قسم اللغة العربية في جامعة الزهراء للبنات	طهران	25
4	قسم اللغة العربية في جامعة إيلام	إيلام	55
5	قسم اللغة العربية في جامعة طهران	طهران	30
6	قسم اللغة العربية في جامعة الحكيم سبزواري	خراسان رضوي	60
7	قسم اللغة العربية في جامعة (الخليج الفارسي)	بوشهر	60
8	قسم اللغة العربية في جامعة الخوارزمي	البرز	35
9	قسم اللغة العربية في جامعة الرازي	كرمانشاه	60
10	قسم اللغة العربية في جامعة رايِن	سيستان وبلوشستان	50
11	قسم اللغة العربية في جامعة سيستان وبلوشستان- بمدينه زاهدان	سيستان وبلوشستان	40
12	قسم اللغة العربية في جامعة سمنان	سمنان	45
13	قسم اللغة العربية في جامعة الشهيد باهنر	كرمان	30
14	قسم اللغة العربية في جامعة الشهيد بهشتي	طهران	30
15	قسم اللغة العربية في جامعة الشهيد تشمران- بمدينه الاحواز	خوزستان	45
16	قسم اللغة العربية في جامعة شيراز	فارس	35
17	قسم اللغة العربية في جامعة العلامه طباطبائي	طهران	30
18	قسم اللغة العربية في جامعة فردوسي- بمدينه مشهد	خراسان رضوي	40
19	قسم اللغة العربية في جامعة قم	قم	60
20	قسم اللغة العربية في جامعة كاشان	اصفهان	30
21	قسم اللغة العربية في جامعة كردستان-بمدينه سنندج	كردستان	70
22	قسم اللغة العربية في جامعة جيلان-بمدينه رشت	جيلان	60
23	قسم اللغة العربية في جامعة لورستان- في مدينه خرم اباد	لورستان	40
24	قسم اللغة العربية في جامعة مازندران-مدينه بابل سر	مازندران	75
25	قسم اللغة العربية في جامعة المحقق اردبيلي	اردبيل	55
26	قسم اللغة العربية في جامعة الولايه- بمدينه إيرانشهر	سيستان وبلوشستان	45
27	قسم اللغة العربية في جامعة ولي العصر- بمدينه رفسنجان	كرمان	50
28	قسم اللغة العربية في جامعة يزد	يزد	40
29	قسم اللغة العربية في جامعة المذاهب الإسلامية	طهران	40
30	قسم اللغة العربية في جامعة الكوثر للبنات- بمدينه بجنورد	خراسان الشمالية	45
31	قسم اللغة العربية في جامعة معارف القران وعترة الرسول (ص)- للبنات	اصفهان	45
32	قسم اللغة العربية في كلية اصول الدين-فرع طهران	طهران	24
33	قسم اللغة العربية في كلية اصول الدين-فرع مدينه درفول	خوزستان	36
34	قسم اللغة العربية في كلية اصول الدين-فرع مدينه قم	قم	36
35	قسم اللغة العربية في مؤسسة انديشه (الفكر)	فارس	60
36	قسم اللغة العربية في جامعة بيام نور (رسالة النور) مركزها في طهران ولها عشرات الفروع بمختلف المحافظات والمدن الإيرانية وتضم مختلف التخصصات	79 فرعا لهذه الجامعة يدرس اللغة العربية وآدابها وتنتشر هذه الفروع في جميع المحافظات الإيرانية وفي بعض المحافظات يوجد أكثر من فرع	في كل فرع يتم قبول 50 طالبًا سنويًا ويبلغ مجموع طلاب اللغة العربية وآدابها في مختلف فروع هذه الجامعة 3950 طالبًا وطالبة.

المصدر (مشاوره تحصيلى هيوا).

رابعًا-محاربة اللغة العربية في إيران

في مقابل ما ذُكر آنفًا من اهتمامٍ باللغة العربية، تشهد إيران منذ سنواتٍ حركةً جادّةً وتخصيص ميزانياتٍ كبيرة لما يُسمى بتطهير اللغة الفارسية من الكلمات العربية والتركية والإنجليزية الدخيلة، ومحاولات حذف الكلمات العربية من اللغة الفارسية

لدوافع مختلفة؛ بهدف حماية اللغة الفارسية، ولأهداف قومية، ومن أجل إحياء الأدب الفارسي القديم. من هؤلاء المفكر المتأثر بالغرب فتحعلي آخوندزاده، الذي ألَّف كتابًا يدعو فيه إلى تغيير الخطّ والحروف الفارسية في إيران، إذ كان يعتقد بأنّ الحروف العربية هي سبب الفقر والضعف والتخلف الفكري والاستبداد السياسي في بلاد الإسلام. كما هدف رضا خان البهلوي بعد عودته من تركيا في 1934م ولقائه بمصطفى كمال أتاتورك؛ إلى الحيلولة دون ترويج الثقافة الإسلامية، ومكافحة اللغة العربية إذ قام بتأسيس «المجمع الثقافي الإيراني» (فرهنگستان)، وأمر بتغيير أسماء المدن الإيرانية التي كانت تحمل أسماء عربية إلى أسماء فارسية (شه گلی، اسفند ماه سال 1393 ه. ش).

وهناك غلام علي حداد عادل الذي ترأس مجمع اللغة الفارسية وأصدر منذ تأسيسه في عام 1990م حتى اليوم ما مجموعه 45 ألف كلمة فارسية جمعها في 12 مجلدًا، وهو يستبدل سنويًّا ما يقرب من 4500 كلمة أجنبية بما يعادلها من كلماتٍ فارسية يقوم المجمع بصياغتها (خبر آنلاين، 27تير1390ه. ش). وضمن تيار التنقيح المتطرّف أيضًا هناك الأكاديمي حميد عنايت والكاتب عبد الحسين زرين كوب والشاعر محمد رضا عالي بيام.

خامسًا-أهم مظاهر محاربة اللغة العربية

1-حلُّ وإغلاق المؤسَّسات المعنية بتعلّم اللغة العربية (عساكرة، 2006، ص175) والمؤسَّسات الثقافية والتعليمية المهتمة بتعلّم اللغة العربية واستبدالها بمؤسساتٍ فارسية (عزيزي، 2019، أكتوبر 01).

2-استبدال الأسماء العربية للمدن والقرى والشوارع في منطقة الأحواز بأسماء فارسية (أحمد، 2010، ص 141).

3-منع العرب الإيرانيين من تسمية المواليد بأسماء عربية وفرض أسماء فارسية، وفي حال عدم الالتزام باللوائح ترفض السلطات منح شهادات ميلاد للمواليد (مركز سمت للدراسات، 2019، يوليو 25).

4-إغلاق المطابع العربية لمنع طباعة الكتب العربية (مهدي، 2007، أغسطس 19).

5-أشار زناتي (2012، سبتمبر 12) إلى التضييق الشديد الذي يُمارس ضد العرب في إقليم الأحواز من قبل السلطات الإيرانية، وحرمانهم من التدريس باللغة العربية وعدم منحهم الحق في امتلاك صحف عربية.

6-الرفض المتزايد لعقد الزواج باللغة العربية؛ بحجة عدم فهم ما يقوله رجال الدين أثناء العقد، وأنَّ إقامة مراسم عقد الزواج باللغة العربية يُعدُّ نوعًا من الاغتراب (دويتشه فيله، 2019، سبتمبر 01).

7-المطالبة بحذف الكلمات العربية من اللغة الفارسية، وتغيير الأبجدية إلى أبجدية لاتينية وإزالة بعض الحروف المتشابهة في النطق مثل: (ز، ض، ظ، ذ) (قاسمی، 3 خرداد 1398 ه. ش).

سادسًا-تحديات أمام الفرسنة

تقف عدة تحدِّيات أمام دعاة فرسنة اللغة الفارسية ودعاة تغيير الأبجدية العربية إلى أبجدية لاتينية، وهي:

1-أنَّ الشعر والمؤلفات والآثار الأدبية الضخمة التي يفتخر بها الإيرانيون ولا سيما القوميون منهم، كُتبت باللغتين الفارسية والعربية، وأنَّ اللغة الفارسية التي أُلفت بها المئات وربما الآلاف من المؤلفات مليئة بالكلمات العربية (آل ربيع، 2017، مارس 08).

2- أنَّ استبدال وحذف الكلمات العربية من الفارسية سوف يؤدي إلى عزل الإيرانيين عن الثقافةِ الإسلامية والمؤلفات الدينية المكتوبة باللغةِ العربية.

3-المخاوف الإيرانية المتزايدة من انتشار ما بات يُعرف بظاهرة «التسنُّن»، والمقصود بها الدعوة إلى مذهبِ أهل السنة والجماعة في المجتمع الأحوازي، ونشاط الأحوازيين في الخارج على الصعيد الإعلامي والحقوقي والسياسي (الموسوي، 2014، ص66).

في هذا المبحث اتضحت المقاربة من فهم الدور المركزي للمكوّن الاجتماعي الإيراني في تعلّم اللغة العربية معتمدةً على وجود ثلاث شرائح تشكّل الفئات المكونة لأغلبية الشعب الإيراني: الشريحة الأولى، يمثلها ثنائيو اللغة من رجال الدين وبعض الأكاديميين والإعلاميين والسياسيين. أما الشريحة الثانية فهي ممثلة في العرب الأحواز، والشريحة الثالثة هي فئة المعرّبين. وهذه الشرائح تحمل عوامل بقاء اللغة العربية وحصولها على قدرٍ معيّنٍ من إمكانية توظيف المكوّن الاجتماعي كمحتوى للغة.

المبحث الثاني
أثر الأدب العربي في الأدب الفارسي

أدَّى تأثُّر تركيب الجملة الفارسيّة بالتراكيب العربيّة، إلى تأثر الشعر الفارسي كذلك بالشعر العربي من حيث الشكل والمضمون. ومن ذلك نجد أنَّ الشعر الفارسي وُلد تحت تأثير الشعر العربي، إذ جاء متأثرًا بقوالبه الشعرية ومضامينه وموضوعاته واصطلاحاته المختلفة. إنَّ البحث التاريخي المعاصر لا يعضّد وجود أدب معتبر في الفارسية القديمة، وقد أقرَّ بذلكَ الأستاذ بجامعة هارفارد ريتشارد فراي إذ يرى أنَّه يعسر على الباحث إيجاد أدلةٍ على وجود كتاباتٍ إيرانية قبل الإسلام، خصوصًا بالمقارنة مع الرومان والإغريق... أما الشعر النفّاذ، والنثر الأخّاذ الذي ظهر تحت ظلّ الإسلام فلا أثر له قبل ذلك؛ لأنَّه كان منتجًا إسلاميًّا استفزّته الموجة الدينية الجديدة، وغذاه انتشار العلم والتعليم الذي جاء به الدين الجديد، وولّده التزاوج اللغوي مع لغةٍ فتيةٍ شاعرة قادمة من صحراء العرب (فال الدين، 2019، مارس 04).

أولًا-أوزان اللغة العربية في الفارسية

كان للفرس كتاب منظومة الأفستا (الأبستاق) الخاص بالديانة الزرادشتية، منها قسمٌ خاصٌ بالتراتيل والأناشيد الدينية الزرادشتية المعروفة بـ(گاتها) وقطع أخرى منظومةٍ في الأقسام المعروفة باسم (يشت) و(يسنا) و(وَنديداد) يرجع تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد (جوبين. د. ت). كان الفرس في عهد الدولة الساسانية يتغنّون بالشعر ثم تلقّفوا اللغة العربية من العرب قبل الإسلام وأدخلوها في لغتهم البهلوية. كان بعض الخطباء العرب يفِدون إلى إيران قبل الإسلام ومنهم «الأعشى» الذي تأثّر الإيرانيون به كثيرًا، وقالت عنه موسوعة المورد: «وفدَ على ملوك فارس فمدحهم، وسار شعره العذب على الألسنة» (البعلبكي، 1992، ص 59).

بدأ تدوين الشعر الفارسي بالحروفِ العربية أواخر القرن الثالث الهجري، فكانت إرهاصًا بمولد ذلك النوع من الشعر الذي نشأ في كنفِ الشعر العربي وسار في الغالب على غِراره. وكان عَروض الشعر الفارسي في أول أمره يجري على غِرار العروض العربي، واستخرج علماء العروض الفارسي من دوائر العروض العربي جميع الأوزان الفارسية باستثناء أوزانٍ خاصّةٍ

كالرباعيات والفهلويات، حتى أصبحت الأوزان الفارسية تسعة عشر بحرًا تحمل نفس أسماء الأوزان العربية، وهي: (طويل) و(مديد) و(بسيط) و(رجز) و(هزج) و(سريع) و(رمل) و(وافر) و(مضارع) و(تقارب) و(تـدارك) و(كامل) و(مقتضب) و(منسرح) و(مجتث) و(خفيف) و(جديد) و(قريب) و(مشاكل). وقد قلّد الشعراء الفرس بفنونهم الشعرية الفنون العربية ولم يبتعدوا عنها كثيرًا فالتزموا القافية والوزن كما في ترتيب القصيدة العربية. وانعكس التجديد الذي طرأ على القصيدة العربية في القرن الثاني والثالث الهجري وعدم الالتزام بالقافية الواحدة وظهور الموشّحات في الأندلس؛ على بعض فنون الشعر الفارسي بصورةٍ جليّة ومنها الترجيع، الذي بدأ الاهتمام بنظمه في القرن السادس الهجري (خلف، 2010، ص 144).

من الأوزان التي اتبعها الإيرانيون، بحر (المتقارب) ووزنه هو:

فعُولنْ فعُولنْ فعُولنْ فعُولنْ فعُولنْ فعُولنْ فعُولنْ فعُولنْ

وأوضح براون (د. ت، ص115) أنَّ أشهر من اتبع بحر المتقارب هو الفردوسي في كتابه (الشاهنامه) أو(رسالة الملوك) الذي يحتوي على أكثر من خمسين ألف بيتٍ في شرح تاريخ إيران. كما أشار الكرباسي (2012، ص 73) إلى أنَّ الشاهنامه احتوت على مفاخرة الجنس الفارسي على العربي، وحرص فيها على التخلُّص من الكلمات العربية، إذ اشتهر بعدائه لها ورغمًا عن ذلك كتب بلغةٍ أبجديتها هي العربية، كما أنَّ 30% من كلمات ملحمته هي كلماتٌ عربية.

وأورد الكرباسي (ص117) نموذجًا من بحر المتقارب في شعر أحمد بن قوص الدامغاني المنوتشهري (ت: 423ه)، الذي نقل الكثير من الأغراض الشعرية من العربية إلى الفارسية كوصفِ الإبل والصحراء والأطلال وغيرها. ومن شعره في وصف بزوغ الفجر مقطوعةٌ جاء أولها:

جو از زلف شب باز شد فرو مُرد قنديل محرابها
سپيده دَمْ از بيم سرماي بيوشيد بر كوه سنجابها

وترجمة البيتين:

عندما انفتقت ضفائرُ الليلِ انطفأتْ قناديلُ المحاريب
من شدة البرد ظلّ بياض فجر كما غطى السنجابُ اعالي الجبال

ومن أشهر الفنون الشعرية (الملمَّع) وهو من أنواع المحسّنات البديعية. ظهر (الملمَّع) الفارسي في أواخر القرن الثالث الهجري وازدهر بعد القرن الخامس الهجري على يدِ الشعراء الصوفيين كالسنائي الغزنوي (525- 1150ه)، وجلال الدين البلخي الرومي (972- 1273ه)، وعبد الرحمن الجامي (898- 1289ه)، وحافظ الشيرازي (792- 1390ه). وأقدم ملمَّع في الأدب الفارسي للبلخي (325- 937ه):

يرى محنتي ثم يخفُ فدَته نفسي تراه قد سفر
دانذ كز وَي به مَنْ چه ديكرْباره زِ عِشق بي خَبَرا

ويُعدُّ جلال الدين الرومي هو الأكثر إنتاجًا للملمّعات إذ نظم زهاء 500 بيتٍ غزلية مُلمَّعة (مقبل، 2011، ص 89).

تناول الشعر الفارسي موضوعات الشعر العربي من المدح والهجاء والغزل والوصف. وتغذّى شعر التصوف الفارسي في نشوئه ونموه بشعر التصوف العربي عند الحلاّج، وابن عربي، وابن الفارض. وقد لاحت بشائر الشعر الفارسي الإسلامي في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث، حيث نشأ في كنف الشعر العربي وسار على غِراره، لكن راجت سوق الشعر العربي في إيران بالقرن الرابع الهجري رواجًا عظيمًا وكان من العوامل التي أدّت إلى هذا الرواج اهتمام ملوك البويهيين ووزرائهم بالشعر وأصحابه وفي مقدمتهم عضد الدولة (آل قيس، ورجبي، 1433ه، ص5).

ثانيًا-مراكز الأدب العربي

كان لدراسة الأدب العربي مركزان مهمان في فارس وهما (نيسابور) و(الري)، هذا بالإضافة إلى مراكز أخرى ثانوية. وكانت الري مقر آل بويه ووزرائهم المشهود لهم بالبراعة في الأدب العربي، ومنهم الصاحب بن عباد المعروف بشعره العربي الذي جعله يتبوأ أعلى المراتب بين أساطين الشعر في تاريخ الأدب العربي. أما مدينة نيسابور فقد أنتجت كثيرًا من الشعراء والأدباء ربما يفوق عددهم عدد شعراء الري وأدبائها، وفيهم شخصياتٌ ذات شهرةٍ عالميةٍ في الأدب العربي كأبي بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمذاني. ومن البيوت التي اشتهرت بتشجيع الأدب العربي «بنو ميكال» الذين كانوا - وفقًا لبعض المصادر- ينتمون إلى ملوك فارس القدامى وتقلّدوا في العصور الإسلامية الأولى مناصب عالية في الحكومة وكانت لهم مآثر في تشجيع الأدب واصطناع الأدباء (بوجلة، 2007، ص 51).

وأوضح آل قيس، ورجبي (1433ه، ص 5) أنَّ البويهيين آثروا الارتباط بالعالم الإسلامي عن طريق اللغة العربية وآدابها وكان بينهم الشعراء والأدباء، وكان وزراؤهم كبار الأدباء وفي مقدمتهم الصاحب بن عباد وابن العميد، وأبو ريحان البيروني الذي كتب جميع مؤلفاته وتصانيفه التي زادت على الثلاثمئة وخمسين كتابًا ورسالة باللغة العربية وحدها. من كتبه: (الآثار الباقية)، (تحقيق ما للهند من مقولة معقولة أو منفولة)، (التفهيم من صناعة التنجيم) بالفارسية. وأكّد بروان (د. ت، ص114) أنَّ أبا الفتح البستي كان ماهرًا في الصناعات البديعية وله قصيدةٌ معروفةٌ يخبرنا بها المتنبي بأنَّها كانت عالية الشأن في زمانه يحفظها الناس عن ظهر قلب، مطلعها:

زيادةُ المالِ في دنياه وربحه غير محضِ الخير نقصانُ

ووفقًا لسرد بروان (د. ت، ص118) فإنَّ الأدب انتعش في الدولة الغزنوية التي تعود إلى 962م، أسَّسها عبدٌ تركيٌّ من عبيد السامانيين في مدينة غزنة وسط الهضاب الأفغانية. وبالإضافة إلى (غزنة) كانت توجد في إيران في الفترة المبكّرة من العصر الغزنوي أربعة مراكز تجتذب إليها رجال العلم والأدب وهي:

1-قصر الحاجب بن عباد، وزير البويهيين، وكان يقيم عادةً في أصفهان أو الري.
2-قصر السامانيين في بخارى.
3-قصر شمس المعالي قابوس بن وشمگير في طربستان على مقربةٍ من بحر قزوين.
4-قصر ملوك خوارزم المعروفين باسم مأمون في خيوه.

ثالثًا-صلات الشعراء الإيرانيين باللغة العربية

أدى ظهور جيلٍ من الأدباء والشعراء الفرس الذين عمَّقوا حضور العربية في الفارسية شكلًا ومضمونًا إلى التأثير في بناء الفارسية الجديدة وتكوينها. وعُرف هؤلاء بذوي اللسانين؛ لأنَّهم كانوا يؤلفون وينشدون

باللغتين، ويتنقَّلون بينهما بسهولة، وزاد نشاط هؤلاء في القرن السادس الهجري وما بعده، وكان دليلًا على استمرار التداخل اللغوي في هذه المرحلة. ومن الأدباء الفرس ذوي اللسانين الناقد والعروضي شمس الدين محمد بن قيس الرازي المتوفى قرابة عام 628هـ، كتب بالعربية: (المعجم في معايير أشعار العرب)، وبالفارسية: (المعجم في معايير أشعار العجم). ومنهم أيضًا البلاغي رشيد الوطواط (481- 573 هـ)، الذي كان له دور مؤسِّس في نقل علوم البلاغة والبيان من العربية إلى الفارسية، وبذل جهدًا في تطبيقها في النصوص.

ومن النماذج القوية على استحكام التداخل العربي-الفارسي في هذه المرحلة من الشعراء الفرس ذوي اللسانين، نجد الشاعر سعدي الشيرازي (580-691هـ)، اشتهرت منظومته الحكمية (البستان)، وله (گلستان)، وله رسائل نثرية: (المجالس الضخمة)، (نصيحة الملوك)، (رسالة في العقل والعشق)، (التقارير الثلاثة). وله قصائد فارسية وعربية وملمعات وترجيعات وثلاث مجموعات من الغزليات الصوفية هي (الطيبات)، و(البدائع)، و(الخواتيم). ومن نماذج شعره هذه الأبيات الغزلية (يلوح، 2014):

تعذر سمتُ الواجدين ومن صاح وجدًا ما عليه
أسرُّوا حديث العِشق ما امكن وإنْ غلبَ الشوقَ الشديد
سرى طيفُ من يجلو بطلعته وسائر ليلِ المقبلين صباحُ

هناك أيضًا الأمير أبو الحسن قابوس بن زياد وشمگير (ت: سنة 403ه) حاكم طبرستان لقَّبه الخليفة العباسي بشمس المعالي، من كبار شعراء عصره، كان بارزًا في علوم البلاغة العربية متفوقًا في الفلسفة والنجوم وقد كتب بالعربية رسالة عن «الإسطرلاب» وكان يكرم العلماء والشعراء ويجزل الصلات لهم، وهو يُعدُّ من كبار الكتّاب في عصره (آل قيس، ورجبي، 1433ه، ص 6).

رابعًا-التأثيرات التي تركها الأدب والبلاغة العربية في الأدب الفارسي

يمكن تلخيص التأثيرات التي تركها الأدب والبلاغة العربية في الأدب الفارسي فيما يلي:

1_ استخدم شعراء الفارسية بحور الشعر العربية التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي لوزن أشعارهم.

2_ اقترضت الفارسية من العربية الصور والمفاهيم الشعرية التي كانت دارجةً لدى الشعراء العرب، وأحيانًا كانوا يُدخلون عليها بعض التعديلات، وفي أحيان أخرى كانوا يستخدمونها كما في لغتها الأصلية، ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر عنصري (ديوان الشاعر عنصري، د. ت):

به تيغ شاه نگر نامه گنشته كه راستگويتر از نامه تيغ او نيست

أي:

انظر إلى سيف الملك ولا تقرأ سيرة فلا يوجد أصدقَ من حدِّ سيفه الأكاذيب

وهذا المفهوم الشعري يذكرنا ببيت أبي تمام في فتح عمورية حين قال:

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكتب في حدِّه الحدّ بين الجدِّ واللعبِ

(ديوان أبي تمام، 1987، ص40)

أو قول الشاعر فخر الدين جرجاني:

نبودى مرگ را هرگز به اگرنه فرقتش بودى

(گرگانى، وورامين، 1349ه.ش، 1970، ص 413)

أي:

ما كان الموتُ ليجدَ طريقه لولا أنّ فراقه كان لي

وهذه صورة مُقتبسة من شعر المتنبي، إذ قال:

لولا مفارقةِ الأحباب ما لها المنايا إلى أرواحنا

(المتنبي، 1983، ص 17)

وكذلك استفاد الشاعر أسدي الطوسي من صور المتنبي كثيرًا، ومنها قوله:

نبايد شد از خنده شه دلير نه خندست دندان نمودن ز

(طوسي، 1354ه. ش، 1975، ص68).

أي:

لا تبدي جرأةً إن رأيتَ ابتسامة الملك، فعندما يُظهر الأسد أنيابه فتلك ليست ابتسامة

وهذه صورة شعرية تذكرنا بقول المتنبي (1983، ص332):

إذا رأيتَ نيوب الليث فلا تظنَن أنّ الليثَ مبتسمُ

ومن ذلك قول الشاعر أنوري مادحًا أحد ممدوحيه باسم (أبو الحسن عمراني):

خود خراب ابد كيتى نيست جاى تو گنجها ننهند هرگز جز كه در جاى خراب

(نفيسى، 1364 ه.ش، 1985، ص19)

أي:

هذه الدنيا الخربة ليست ولكن لا تَوضعُ الكنوز إلا في الخراب

وكما نرى فهذا تشبيهٌ استعمله المتنبي (1983، ص 101) من قبل عندما قال:

وما أنا منهم بالعيشِ فيهم ولكن معدن الذهبِ الرغام

3_ دخلت فنون البلاغة والصناعات الأدبية العربية أيضًا إلى اللغة الفارسية، فبعد أن تعرَّف الشعراء الفرس على الأدبِ العربي وتأثروا به، استخدموا صناعاته في أشعارهم، وقاموا بتدوين هذه الصناعات كعلمٍ مستقلّ، وما زالوا يستخدمون الاسم العربي لتلك الصنّاعات من قبيل: تشبيه، استعارة، مجاز، الإرصاد، لف ونشر، مراعاة النظير، ردَّ الصدر على العجز، وغيرها.

وكنموذجٍ للتشبيه في كتاب (تحفة الملوك) عن منظومة (كليلة ودمنة) بيتٌ شعريٌّ يشيدُ بمكانةِ العلم والعلماء (إذاعة طهران، 2019، يناير 14):

دانش، اندر دل چراغ روشن است
از همه بد، بر تن تو جوشن است

وترجمته:

إنّما العلم سراجٌ نيرٌ وسط القلوب
وهو درعٌ يحفظُ الإنسانَ في كلِّ الخطوب

وفي «التشبيه» أيضًا أبياتٌ شعريةٌ للشاعر حميدي (عكرمة والحمد، 2000، ص 367)

ميان گرهاى تيره چون ميغ
زبانهاى سنانها برق مى زد
لب شمشيرهاى زندگى سوز
سران را بوسه ها بر فرق مى زد

وترجمتها:

تبدو الرماحُ كشُهبٍ في تلامعها
وسط الغبارِ الذي كالليلِ غطّاها
وللسيوفِ شَفاهٌ لثّمُها أجَلٌ
على المفارقِ قد بانت عطاياها

وهناك أيضًا مُقتطفٌ من أشعار سعدى شيرازى كـ«مجاز استعارة» (دامغاني، 2000، ص 16)

آيا اين ماهِ نو (هلال) عيد است
يا سپيدي پيشانيِ آن فراخ چشمان مَهوش؟

وترجمته:

أهذا هلالُ العيدِ أم تحت برقعٍ
تلوحُ جباهُ العينِ شبه أهلّةٍ

وجاء في شعرِ سعدي الشيرازي أيضًا نموذج «مجاز الاستعارة» الآتي (دامغاني، 2000، ص 32)

ندانم اين در گاه تست يا دميدَنگاهِ مهر و ماه
وآن قدّ وبالاى تست يا شاخ شمشاد

وترجمته:

أمطلعُ شمسٍ بابُ دارِكِ أم بدر
أقدُّكِ أم غصنٌ من البانِ لا أدري

أما نموذج «ردُّ الصدرِ على العجز»، فقد ورد كذلك في شعر سعدي الشيرازي (دامغاني، 2000، ص 20) فهو:

خاموش ماندن شيفتگان شيدا دشوار است از نيروى عشق فرياد برمى آورند
و هر آنكه از شيفتگى فرياد برمى آورد گناهى نيست

وترجمته:

تعذّر صمتُ الواجدين فصاحوا
ومن صاحَ وجدًا ما عليه جُناحُ

ومن نماذج «مراعاة النظير» في شعر مسعود بن سعد (عكرمة والحمد، 2000، ص 265)

از ديده گاه پاشم دُرهاى قيمتى
وز طبع گه خرامم در باغ دلگشاى

وترجمته:

أنثر الدرَّ واللآلىء حينًا
وبزهو أختالُ حينًا وحينا

وأيضًا في قول الشاعر شهريار(عكرمة والحمد، 2000، ص 374)

عشق و آزادگى و حسن جوانى و هنر
عجبا هيچ نيرزند كه بى سيم و زرم

وترجمته:

الحبُّ والحسنُ والأشياءُ قاطبةً
لا تمنع القلبَ أن يحيا بلا تِبر

4 اقتراض بعض القوالب الشعرية من حالات تأثُّر الأدب الفارسي بالأدب العربي؛ وهو ما أسهم في إثراءِ هذا الأدب بشكلٍ كبير، ويمكن الإشارة هنا إلى قوالب شعرية كالغزل والقطعة والمخمَّس والمسدَّس وغيرها.

وكمثال لقالب الغزل قال أحدهم (آذرشب، 2020، سبتمبر 06):

أي ساربان منزل مكن جز در ديار يارمن
تا يک دمي زاري كنيم بر ربع واطلال ودمن

وترجمته:

أيتها القافلة لا تحطّي إلَّا في ديار حبيبي
لنبكي لحظةً على الربع والأطلال والدمن.

وقال الشاعر سنائي في الغزل (آذرشب، 2020، سبتمبر 06):

آنرا كه زندگيش بعشق مرگ نيست
هرگز گمان مبركه مرو را فنا بود

وترجمته:

لا موتَ لمن حياته بالعشق
فلا تظننَّ أنّه يسري عليه الفناء

ونموذجٌ آخر للغزل في شعر سعدي الشيرازي (دامغاني، 2000، ص 48)

شيفته آهو چشم شمشاد بالائى شدم كه بى آنكه پاكدامنى و پارسائى بر خود ببندم
فاش مى گويم كه ازو صبر نتوانم كرد
در كيش عاشقى پرده پوشى و پنهان كارى نارواست
من دوستش مى دارم هرچند رقيب خشمگين و ستيزه جوئى كند

وترجمته:

أصبحتُ مفتونًا بأعينٍ أهيفا
لا أستطيعُ الصبرِ عنه تعفُّفا
والسترُ في دينِ المحبَّة بدعةٌ
أهوى وإن غضبَ الرقيبُ وعنَّفا

5 وجدت القصص والحكايات العربية طريقها أيضًا إلى الأدب الفارسي، إما كاملةً أو مجتزأةً، ومن ثَمَّ دخلت إلى ثقافةِ الناس عن طريق الأدب، إذ قلَّما نجد اليوم من الفرس من لا يعرف حكاية «مجنون ليلى» أو «يوسف وزليخا» وغيرها، حتى إنَّ بعض الشعراء الفرس قام بنظمِ هذه القصص على شكلِ منظوماتٍ شعريةٍ طويلة، كالشاعر نظامي غنجوي الذي نظم قصةَ «مجنون ليلى» في منظومةٍ شعريةٍ طويلة تحمل اسم «ليلى ومجنون».

هذه النماذج التي استعرضتها هي لتكوين فكرة عن خصائص الأدب الفارسي، والخلاصة هي أنَّ استعارة الفارسية الصور والمفاهيم الشعرية من العربية كثيرةٌ جدًا بحيث لا يمكن حصرها. وهذا المبحث سلّط الضوء على مكامن الاجتهاد للكشفِ عن تأثير الأدب العربي الواضح في الأدب الفارسي، بالنظم مباشرةً بها أو استعمال أوزان الشعر العربي.

المبحث الثالث
تأثير الأيديولوجيا اللغوية العربية في الفارسية

تشكِّل أيديولوجيا اللغة بؤرة اهتمام علماء الأنثروبولوجيا اللغوية (Linguistic anthropology) وعلماء اللسانيات الاجتماعية (Sociolinguists)؛ لاتصالها دلاليًّا بطرق التصوُّر المعبّرة عن الحياة الاجتماعية والمعتقدات المتمحورة حول علاقة اللغة بالواقع، وكيفية عمل الاتصال ودور اللغة في تشكيل كينونة الفرد والمعتقدات الدائرة. يرى عالم اللسانيات السويسري فرناند دي سوسير أنَّ العلاقة بين اللغة والفكر هي علاقة تلاحم وتداخل (العلمي، 2018، سبتمبر 22).

تشكِّل العلامة اللغوية بوصفها حاملًا أيديولوجيًّا أداةً تعمل على تنميط التلقي في الأيديولوجيا الثورية الإيرانية، حيث يتصاعد النفوذ الإيراني باعتماد جزءٍ من آلياته المذهبية على العلامة اللغوية العربية. لم يرُق ذلك لبعض القوميين الإيرانيين بأن تُوضع اللغة العربية في نفس مستوى اللغة الفارسية رغم دعمهم للمشروع التوسعي الإيراني؛ وعليه قاموا بتأطير مشروعهم أمام الوضع الذي احتلته هذه اللغة كحامل للأيديولوجيا. وهنا نجد أنَّ الأيديولوجيا اللغوية الفارسية تقف في وجه الأيديولوجيا اللغوية العربية حيث تشكِّل أيديولوجيا اللغة بشكلٍ عام مجموعة الآراء والمعتقدات والأفكار التي تتمحور حول اللغة المعيَّنة وتوظيفها وَفقًا لذلك للتأثير في السياسات العامة للدولة.

وما يدلّ على الاتفاق بوجود ارتباطٍ وثيقٍ بين اللغة والفكر، جاء ترجيحه عبر عدة مقولاتٍ لكبار الباحثين في اللغة والثقافة، كمقولة ابن حزم: «إنَّه لا سبيل إلى معرفة حقائق الأشياء إلَّا بتوسط اللفظ» (الأندلسي، د. ت، ص 145). وأكَّد نعوم تشومسكي أهمية الربط بين

اللغة والسياسة، ويذكر أنَّ الأيديولوجيات المختلفة التي يصوغها علماء الفكر، تعتمدُ في المقامِ الأول على القدرة والبراعة في صوغها، في قوالب لغوية مؤثِّرة وفاعلة. وبيّن عبر عديد من الأمثلة والنماذج كيف تُستخدم اللغة في تبرير الأيديولوجيات السياسية والعسكرية والاجتماعية، وأنَّ الأيديولوجيات المختلفة التي يصوغها علماء الفكر، تعتمد في المقام الأول على الفكرة والبراعة في صياغتها في قوالب لغوية مؤثرة وفاعلة (تشومسكي، 2005، ص 27).

أولًا-السياق التاريخي للأيديولوجيا اللغوية في إيران

لكي نرجع الأيديولوجيا اللغوية إلى سياقها التاريخي في إيران ننظر في عناصرها المرتبطة بحالةِ القوة أو الضعف، وما لازم الإيرانيين من قلقٍ لغويّ وثقافيّ بتنازعهم بين الفارسية والعربية. هذا التنازع أدى إلى ظهور الحركة الشعوبية في أواخر العصر الأموي (661- 750م)، وانطلقت من مبدأ المساواة بين جميع الرعايا، سواء أكانوا عربًا أو عجمًا، لهذا السبب كانوا يُسمّون أهل التسوية، وكانوا يقتبسون ويرددون بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تشدِّد على أنّ الإسلام لا يفرّق بين أتباعه على أساس العرق أو اللون أو الحسب أو النسب، وأنَّ أكرم الناس عند الله أتقاهم. لكن هذا الشعار تلاشى مع مرور الوقت بفعل عداوةٍ واضحةٍ للعرب، وبذلك استُبدلت تلك الدعوة للمساواة بدفاعٍ جريءٍ عن تفوّق الفُرس وتدني العرب خلال الدولة العباسية (750-1258م) (السلمي، 1439هـ، ص 29). ويوضح السلمي (1439ه، ص 39) أنَّ فكرة إحياء الحضارة الفارسية ظهرت في ظلّ حكم السلالات الفارسية الصغيرة شبه المستقلة منذ القرن التاسع وما بعده. وذلك بالإشارة إلى الصفاريين (861-1003م) والسامانيين (873-1005م) والبويهيين (945-1055م) التي حكمت مناطق من قبيل نيسابور وسمرقند وبخارى، التي أسّست أولى الدول الإيرانية شبه المستقلة في أعقاب الفتح الإسلامي. وكان يُنظر إلى هذه الفترة على أنّها بداية عملية إحياء شاملة للمفاهيم الثقافية والسياسية واللغوية.

ظهرت نزعة التفوق الإثني ضد الشعوب غير الفارسية بنشوء حركةٍ شعوبيةٍ قوية داخل إيران في القرن الثالث الهجري، وتميَّزت بعدائها للعرب والمناداة إلى إحياء الإمبراطورية الفارسية. ومن جملة الأفكار التي كانت تروّج لها هذه الحركة، إشاعة اليأس من الإسلام والعرب ودولتهم. وبعد قيام الدولة الصفوية (1501-1746م)، حوَّل الصفويون الاسم المعروف تاريخيًّا «فارس» إلى «إيران» حيث نقلوا المعنى الأول من حلقةٍ ضيقةٍ تخصُّ العِرق الفارسي إلى دائرةٍ أوسع تشمل العنصر الآري. وفي نفس الوقت، سعوا إلى إحداث تشيُّعٍ طائفيّ يُحاكي المذهب الجعفري العربي من زاوية خلق هُويّةٍ إيرانيةٍ يتقدّم فيها الشيعي الفارسي على بقية الشيعة الآخرين (الجبوري، 2014، فبراير 09).

وفي نهاية القرن التاسع عشر، عاد مفكرون فُرس، بخاصةٍ الذين يتقنون اللغة العربية ويتخذون من الحركة الشعوبية مرجعًا لهم من أمثال آخوندزاده، إلى توجههم خلال العصور الوسطى لاستحداث هُويةٍ جديدةٍ للفرس خالية من العناصر العربية والإسلامية (السلمي، 1439هـ، ص 28). أما مرحلة النصف الأول من القرن العشرين فقد تأثّرت بالمناخ الثقافي القومي العالمي الذي أطَّر وشكَّل هذا التوجُّه الأساسي للنظام الملكي البهلوي الحاكم حينئذٍ، فقام بدعم النخبة وتشجيعها لتكريس عناصر القومية الفارسية، وتخليصها من كلِّ ما هو عربي، فأنتجت هذه السياسة نخبةً إيرانيةً متعصّبةً للعنصر الفارسي ومعاديةً للتراث العربي المكوّن للثقافة الإيرانية. من هذه النماذج كتاب «قرنان من الصمت» (دو قرن سكوتْ) للمؤرخ القومي الإيراني عبد الحسين زرين كوب الذي نُشر أول مرة في عام 1959م في طهران، وأثار نقاشات حادة بين التيارين القومي والإسلامي. وبعد قيام الثورة الإيرانية عام 1979م مُنع الكتاب من النشر، حتى وصول الإصلاحيين إلى الحكم في عام 1999م فأعيد طبعه مع بعض التعديلات على نسخته الأصلية (بلوح، 2014).

بسط المؤلف في كتابه هذا نظريةً شاعت في الدراسات الفارسية مفادها أنَّ القرنين الأوّليْن لدخول الإسلام لفارس كانا قرنيْ صمتٍ وتجهيلٍ واضطهادٍ ثقافي. وتتأسَّس النظرية على أنَّ الفاتحين كانوا متخلّفين وأجلافًا لا يحملون أي شيءٍ يقدمونه، فحاربوا اللغات الفارسية، وفرضوا العربية بحد السِّنان؛ مما حتَّم على الفرس التقوقعَ والسكوت الأدبي مئتي عام (فال الدين، 2019، مارس 04). ولكنه عاد وعدَّل كثيرًا من نصِّ الكتاب، معترفًا بأنَّه كان مليئًا بالعنصرية والأخطاء.

وفي العصر الحديث، حاول مفكرون إيرانيون إصلاحيون تجاوز الميراث الشعوبيّ، وتقديم رؤية توفيقيّة إزاء العرب، ومنهم المفكّر الإيرانيّ علي شريعتي، الذي نقد «التشيع الصفويّ» المقترن بالدولة الصفويّة والقوميّة الفارسيّة، وميّز بينه وبين التشيّع العلويّ، ميراث آل البيت، الذي يتجرَّد عن ذلك، كما برز في هذا الاتجاه، المفكّر الإصلاحي الإيرانيّ، مرتضى مطهري، الذي فرّق بين العرب الذين أرادوا استعادة الروح الجاهليّة العنصريّة على حساب روح الإسلام، مُمثلين ببني أميّة ومن شايعهم، في مقابل العرب من «آل البيت» ومن ناصرهم، الذين تمسّكوا بأصول العدل والمساواة بين الشعوب (بشير، 2020، يناير 08).

بات النظام الإيراني الحالي يحذو حذو الشاه فقد سنَّ عددًا من السياسات العنصرية كما لعبت هذه السياسات دور العناصر الفاعلة التي تنفِّذ القمع والتمييز والإذلال بحقِّ الأقليات الإثنية غير الفارسية خاصةً العرب الأحواز الذين يشكون من العنصرية الفارسية في مختلف المجالات: الثقافة والتعليم والخدمات الأخرى وفرص العمل، لذلك يرون أنَّ ما يُقال عن توجهِ إيران في فرض تعلم اللغة العربية لا يعني حبهم لها بل هي رغبةٌ في كسرِ احتكار العرب للغة القرآن وبالتالي قيادة العالم الإسلامي.

ثانيًا-النخب الدينية واللغة العربية في إيران بعد الثورة

أدركت إيران ما بعد الثورة أهمية اللغة العربية في تعزيز شرعيتها ووجودها في المنطقة العربية ولا سيَّما لدى المنتمين للمذهب الشيعي، بوصفها لغة القرآن والحديث والعلوم الشرعية، إضافة إلى أنَّ كل مفردات وسرديات المذهب الشيعي -كمقولاتِ الأئمة المعصومين ونهج البلاغة ونحو ذلك-، إنَّما هي باللغة العربية.

وظهر ذلك في عدة محدِّدات:

1- رجال الدين وإعادة اللغة العربية للبلاد.. الما ورائيات

بعد الثورة الإيرانيّة عام 1979م، هدف رجال الدين إلى تخليق هُويّةٍ جديدةٍ للبلاد، وتجذير أفكارهم في أحشاء المجتمع الإيرانيّ، ومن ثَمَّ كان من المحال أن يُعمل على ترسيخِ الدين والمذهب كمكوّنٍ من مكونات

الهُوية دون اللجوء إلى اللغة العربية؛ وذلك لأنَّ التراث الشيعي الإماميّ مكتوبٌ باللغة العربية، وشيوخ الطائفة في قُم والنجف، كالشيخ الطوسي، والشيخ المفيد، والصدوقين وغيرهم ممن يُرجع إليهم مذهبيًا، ويُنظر إليهم كمؤسّسين للحوزة والدرس الفقهي الشيعي، وكذلك مشايخ الأخباريين كالشيخ الكُلَيْني صاحب الكافي (أحد الكتب الروائية العُمَد والمعتمدة) وغيره، كل هؤلاء كتبوا مصنفاتهم بالعربية. فضلًا عن نيّة تخليق ثقافةٍ جديدة، والمخاصمة مع ثقافة الشاه، وهُوياتيته.

وهذا هو الفرق الكبير بين إيران وغيرها من دولٍ إسلاميةٍ كبيرة غير عربية مثل: باكستان وماليزيا وإندونيسيا ونيجيريا، فإيران استحضنت اللغة العربية ورسّختها في نظامها التعليمي والحوزوي ولا سيما بعد الثورة؛ مما جعلها ندًّا قويًّا في مراحل الصراع على الإسلام وتمثيله مع المركزيات السنيّة العربية حوله (المركزيات: مثل السعودية: مكة والمدينة، ومصر: الأزهر). واستولدت النخب الدينية الحاكمة مصطلح «الإسلام الإيراني» مقابل «الإسلام الأزهري»، و«الإسلام التركي»، و«الإسلام الوهابي»، في محاولة استثارة للنزعة الطائفية والمذهبية لدى الأتباع لتحشيدهم خلف الأطروحة الإيرانية.

2- أزمة البيئة الفارسية.. التبرير الديني لحضور العربية

رصد مُنظّرو ولاية الفقيه تلك الأزمة التي عاشتها إيران قبل الثورة المتعلقة باللغة العربية، وصعوبة إعادتها إلى المركز الإيرانيّ بعد عصور التفريس التي قادها الشاه ومن قبله من ملوك إيران. فقد انتقد مرتضى مطهري أحد تلامذة الخمينيّ ومُنظّر الثورة ، كمال أتاتورك، ورأى أنَّ إلغاءه للغة العربية تسبَّب في عزل تركيا عن محيطها العربي والإسلامي (باقري، وجهرمي، 2011 ص 136).

وبعد أن هيّأ منظرو الثورة البيئة بتخريجات شرعية ومبرراتٍ عقلانيةٍ لقبول اللغة العربية، ذهبوا إلى أنه لا تناقض بين الفارسية والعربية، وأنَّ خدمة الفرس للغتهم القومية لم تكن بتاتًا على حساب اللغة العربية؛ لأنَّ الإسلام لم يمنع الشعوب من لغاتها المحلية، فـ «لم يكن الفُرس يحسبون اللغة العربية أجنبية، ولم يكونوا يعدّون العربية لغة العرب وحدهم، بل لغة الإسلام والمسلمين عامّة» (يلوح، 2014).

وذكر هويدي (2014، ص 260) أنَّ رجال الدين عندما تولّوا الحكم في إيران وقبضوا على زمام الحوزة والدولة، بدأوا في تعزيز اللغة العربية، فأصبحت للجمعة خطبتان إحداهما بالفارسية والثانية بالعربية، وصدرت في قُم مجلة (الفجر) باللغة العربية. وأصدرت منظمة الإعلام الإسلامي نسخةً عربيةً من مجلتها (التوحيد)، وظهرت في الأسواق (كيهان العربي)، إضافةً إلى مجلة (الوُحدة الإسلامية).

بات بعض القوميين يهاجمون النظام الديني بقولهم إنَّ إيران انتقلت من «التغريب» في عهد الشاه إلى «التعريب» في عهد آيات الله، بسبب حديث الخمينيّ في خطاباتٍ عديدةٍ له عن «الشعب العربيّ العظيم الذي كرمه الله بسبقه إلى الإسلام» (هويدي، 2014، ص 260). كما ظلّت القوى القومية ناشطةً في داخل إيران وخارجها، حيث تسجل اعتراضًا متواصلًا على الاهتمام باللغة العربية وعلى الكمّ الهائل من المفردات العربية في اللغة الفارسية وظلت تدعو إلى فكّ الارتباط بين هاتين اللغتين. وبرز منهم تيارٌ متطرف يرى أنَّ قادة النظام الإيراني (الخميني والخامنئي) سادةٌ هاشميون عرب وقريشيون لذا يسعون لتعريب إيران الفارسية (الملائكة، 2016، فبراير 07).

3-أهداف النخب الدينية من تدريس اللغة العربية

لا يُمكن حصر أهداف النخبة الدينية الإيرانية في ترسيخ اللغة العربية مؤسَّساتيًّا في هدفٍ واحد، بل تمثل الأمر في عدّة أهداف على المستويَيْن الداخلي والخارجي.

أ-أهداف أيديولوجية داخلية

من الأهداف الداخلية لتعزيز حضور اللغة العربية، هو الجانب الثقافي والهوياتي، حيث ارتأت النخبة الدينية أنَّ المخاصمة مع دولة الشاه وقوميتها المتطرفة لا تكون عبر الإمساك بمفاصل السلطة العسكرية والسياسيّة فحسب، بل لا بد من ربط الجماهير بالدين والمذهب وأخبار المعصومين، ومن ثَمَّ باللغة العربية، التي تُعَدُّ لغة المذهب الشيعي، ولغة الدين الإسلامي، ولا تُمثل أيّ تهديدٍ للحضارة الإيرانية سواء أكانت الفارسية، أو الهُوية الجديدة المخلّقة التي تصهر الفارسية بالشيعية، ولذا انتفى العداء بين النخب الدينية واللغة العربية، حتى أولئك المراجع الذين لا يتحدثون العربية أو يجيدونها لا يصرّحون بالعداء لها، بقدر إظهار جوانب الودّ والاحترام للعرب والعربية (حميد، 2019، أكتوبر 12).

كذلك فإنَّ حضور رجال الدين الحوزويين في المجال العام السياسي والاجتماعي يُعزّز حضور اللغة العربية بدهيًا، إذ إنَّ هؤلاء أو معظمهم تعلموا العربية في الحوزة الدينية بقُم، وأجبروا على تعلم النحو والصرف، والبلاغة، وبعضهم سافر إلى العواصم الشيعية العربية كالنجف وكربلاء متعلمًا أو معلمًا. علاوةً على أنَّ بعض رجال الدين الشيعة العرب هاجروا إلى إيران في عهد صدام حسين، وكانوا أعدادًا كثيرة، فحدثت عملية احتكاكٍ وتبادلٍ لغويّ وثقافيّ بين الجانبين.

ب-أهداف أيديولوجية خارجية

من أهمّ الأهداف الخارجية التي تقف وراء تعزيز حضور اللغة العربية في إيران، هو تعزيز حضور إيران المذهبيّ في الإقليم، ذلك أنَّ الحواضن الشيعية العريضة في المنطقة العربية هم أصحاب لسانٍ عربيّ وجذورٍ عربية، ومن ثَمَّ فمخاطبتهم ومدّ أواصر العلاقات معهم تحتاج إلى تكثيف حضور العربية بشكلٍ فاعل. كذلك فإنَّ إقناع المقلدين الشيعة بأطروحة المرشد الأعلى وأعلميته ومن ثَمَّ تقليده ودفع الخمس له تحتاجُ إلى تعزيز اللغة العربية، ووجود عددٍ ضخمٍ من رجال الدين «المبشّرين» الذين يتحدّثون العربية.

يُمكن القول إنَّ محاولات تعزيز حضور اللغة العربية في إيران بعد الثورة الإيرانية 1979م شهد نجاحًا ملحوظًا مقارنةً بوضع العربية قبلها، وأنَّ ذلك الحضور مرتبطٌ بسياقاتٍ أيديولوجيةٍ وهُوياتيةٍ داخلية، وأجندة إيرانية أيديولوجية وسياسية. وتعتقد نخب الحكم في إيران أنَّ اللغة العربية وتعزيزها وحضورها، والتمترس وراءها يمثل قوّةً ناعمةً لهم في اشتباكهم المذهبي والثقافي والسياسي الدائر في المنطقة العربية. لكنّ النجاح الذي حققته اللغة العربية ظلَّ على مستوى الاهتمام بها وإدراجها في الدستور وضمن المناهج الدراسية واعتبارها اللغة الثانية بعد اللغة الفارسية، أما على مستوى المهارات اللغوية المختلفة كالتحدُّث والكتابة، فيمكن القول إنَّ اللغة العربية لا تزال محدودة الانتشار في إيران. وعليه فإنَّ مقاربة الأيديولوجيا اللغوية في إيران هي نتيجة موازين قوّة عبر التاريخ

القديم والمعاصر، أفضت إلى ترسيخ مفاهيم المنظومة العقائدية كبيئةٍ حاضنة.

المبحث الرابع
التحليل والاستنتاجات
أولًا-تحليل تأثير الخطاب اللغوي العربي على المكون الثقافي الإيراني

ما زالت اللغويات النقدية تمارس حضورها المؤثِّر في التحليل النقدي للخطاب وفي تحليل الخطاب اللغوي بحمولته الثقافية، رغم تطور كلٍّ منهما وتفرعهما إلى اتجاهاتٍ معرفية، وأخرى اجتماعية أو تاريخية وأخرى تركِّز على الاستعارة والمجاز، أو الجنس الخطابي وخصائصه، وغير ذلك من اتجاهاتٍ تتناول مختلف جوانب الخطاب والعوامل التي تؤثِّر بإنتاجه وتلقيه، وتلتقي جميعها في التأكيد على الارتباط بين العوامل الاجتماعية والاختيارات اللغوية.

يمكن تحليل هذه الدراسة كثنائية لغوية وحالة توظيف اللغتين الفارسية كلغةٍ أولى، والعربية كلغةٍ ثانية مع عدم وجود شرط التكافؤ. وهذه الحالة اللغوية فسّرها اللساني جون ديبوا بأنّها الحالة اللغوية التي يوظِّف فيها المتكلمون لغتين مختلفتين، حسب البيئة اللغوية والظروف الاجتماعية. واشتراط عدم التكافؤ هو الأقرب لحالة اللغة العربية مع الفارسية ولحالات عديدة من الثنائيات اللغوية، وهذه التوسعة في دلالة ازدواجية اللغة جاء بها علماء لغويون من بينهم اللساني الأمريكي جوشوا فيشمان الذي كتب مقالًا في ستينيات القرن الماضي بعنوان: «الثنائية اللغوية مع الازدواجية أو من دونها، والازدواجية اللغوية مع الثنائية أو من دونها». إذ أقام مقابلة بين مصطلحي الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية، وهي أن حدَّد الأول بأنَّه قدرة الفرد على استخدام عددٍ من اللغات مما حصره في باب اللسانيات النفسية، وحدَّد الثاني بأنَّه استخدام عددٍ من اللغات في مجتمعٍ ما، مما حصره في باب اللسانيات الاجتماعية، ويرى أنَّه ليس من الضروري أن تكون بين اللغتين علاقة، بل يكفي وجود اختلافٍ وظيفيٍّ بين لغتين مهما كانت درجة الاختلاف (بوقمرة، د. ت، ص 105).

تنتظم وظائف اللغة في فئاتٍ ثلاث ناقشها اللساني الإنجليزي مايكل هاليداي وما زالت أساس ما تلاها من مقارباتٍ تداولية: وظيفة تصورية وهي تمثيلٌ للواقع، ووظيفة تفاعلية وهي التفاعل مع الآخرين، ووظيفة نصية وهي إنتاج النصوص والخطابات وتنظيمها وإدارتها. وفي اللغة العربية نجد أنَّ تمثيل الواقع في الأساس قائمٌ على التعدية أو التعدي وهي ليست مجرد خاصية في الفعل في تعارضٍ مع لزومه، بل هي خاصية في الجملة بكاملها وتتكون الجملة كذلك من المشاركين في الفعل وظروفه (مزيد، 2010، ص 38).

تنحصر الصعوبات اللغوية بين اللغة العربية واللغة الفارسية في التداخل بين اللغتين في الجوانب الصوتية والنحوية فقط، وبخلاف تعاطي اللغة العربية مع اللغات الأخرى فإنَّه قد زالت الصعوبات الأخرى وهي الكتابية باعتماد اللغة الفارسية الأبجدية العربية. كما أسهم التداخل المعجمي والدلالي بين اللغتين وإحلال المفردات العربية محلَّ كثيرٍ من المفردات الفارسية في تذليل الصعوبات المعجمية والدلالية حيث تكثر المترادفات.

لا يحرص النظام الإيراني على ضرورة دراية الدارس للغة العربية بالموروث الثقافي العربي، وذلك للاعتداد بالهُوية الفارسية والنظرة إلى العرب؛ وهذا مما أضعف تعُّلم اللغة العربية لأنَّ اللغة ليست مجرد ألفاظ يتداولها الناس، وإنّما هي ثقافة ومنظومة من العادات والتقاليد والأعراف الثقافية، وفهم اللغة وتذوقها يعني الموروث الثقافي لها، فالثقافة هي الوجه الآخر للغة، فإنَّ أهمل الجانب الثقافي ضعف الجانب اللغوي. وإصرار النظام الإيراني على أخذ اللغة العربية بمعزلٍ عن ثقافتها وحاضنتها الأساسية، فإنَّ هذا يحوِّل اكتساب اللغة إلى عمليةٍ ميكانيكية تؤدي وظيفةً معينةً وتهمل بقية الوظائف الأخرى، في ظلِّ عمل النظام على ترسيخ مشكلة التأقلم مع المجتمع العربي ثقافيًا واجتماعيًا.

وقد أشار ابن خلدون (2001، ص 733) إلى أنَّ الاختلاط والانصهار سببٌ رئيسٌ في اكتساب العربية في كلِّ الوقت. وقال ذلك شارحًا: إنَّ الملَكة الحاصلة للعربِ أحسن الملكات وأوضحها إبانةً عن المقاصد لدلالةِ غير الكلمات فيها عن كثيرٍ من المعاني مثل الحركات التي تعين من غير تكلُّف ألفاظٍ أخرى، ولا يوجد ذلك إلّا في لغة العرب. وأوضح ابن خلدون (2001، ص 754- 755) أنَّه لما جاء الإسلام وفارق العرب الحجاز لطلبِ الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول وخالطوا العَجم تغيّرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمعُ من المخالفاتِ التي للمستعربين. خشيَ أهل العلوم منهم أن تفسُد تلك الملكة، فجعلوا علم النحو صناعةً خاصةً بهم، وأوَّل من كتب فيها أبو الأسوَد الدُّؤلي، ثم انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي فهذَّب الصناعة وكمَّل أبوابَها، وأخذها عنه سيبويه فكمَّل تفاريعَها واستكثر من أدلَّتها وشواهدها ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار إمامًا لكلِّ ما كُتب فيها من بعده. ثم وَضع أبو علي الفارسي وأبو القاسم الزَّجَّاج كتبًا مُختصرةً للمتعلمين يحذون فيها حذوَ الإمامِ في كتابه.

يُشير ابن خلدون هنا إلى أنَّ بعض علماء العربية الذين قعَّدوا لها وانبروا إلى التنظير والتدريس كانوا ممن اكتسبوها وتعلموها وليس من أبنائها الأقحاح، وبذلك يؤكِّد أنَّ المخالطة والاندماج في المجتمع كانت وسيلةً بارزةً في اكتساب العربية وتعلمها. إلَّا أنَّ النظام الإيراني يقف في وجه إحدى أهم آليات تعلُّم اللغة العربية والمهارات اللغوية وهي الطريقة التواصلية عن طريق التفاعل وحرص النظام الإيراني الحدَّ من هذه الآلية لخوفه على مشروعه الأيديولوجي، إذ إنَّه يعمل على انتقاء اللغة العربية كآليةٍ لتعليم القرآن والحديث والأهداف المحدودة التي تم ذكرها في إطارٍ مغلقٍ بغرض الاستفادة منها داخليًّا، وخارجيًّا في إطار تصدير مشروعها وليس التعامل معها كلغةٍ حيَّةٍ ولغة تواصل.

من ناحيةٍ أخرى، يبدو إقليم الأحواز كجماعةٍ لغويةٍ عرقية، وهم يعتبرون أنَّ لغتهم العربية مهدّدة في إيران، وهذا التهديد متصلٌ اتصالًا مباشرًا بالضغط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي يمارسه النظام أو مجتمع اللغة السائدة الذي يخشى الغمر اللغوي العربي بوصفه وسيلةً للقضاء على اللغة الفارسية. وإذ تتوجَّس إيران من مسألة التفاعل مع مجتمعاتٍ عربيةٍ في مجال اللغة، فهي تحرص بدلًا عن ذلك على تصدير لغتها الفارسية بفتح معاهد في دولٍ عربيةٍ وإفريقيةٍ وغيرها في إطار سياساتها التوسعية.

ثانيًا-الاستنتاجات

استنادًا إلى النماذج التي سقناها في المباحث الثلاثة السابقة، والتغيرات الإيجابية النوعية التي استدلينا بها، فقد تم التوصُّل إلى عددٍ من النتائج المهمّة لتأثير اللغة العربية في المكون الثقافي الإيراني:

1-إذا كان تأثير اللغة الفارسية (الأم) في اللغة العربية (الثانية) غالبًا ما يُوصف بأنَّه سلبيٌّ بالنظر إلى احتمال الأخطاء النحوية والمعجمية، فإنّ تأثير اللغة

العربية في اللغة الفارسية جاء إيجابيًا؛ نظرًا لكون العربية حسّنت من الأساس المعرفي وأثّرت في المكوّن الثقافي الذي تهيمن عليه اللغة الأم.

2-تلاشي رمزية اللغة العربية في إيران، كأحد ملامح الهويّة الحضارية وانعدامها كلغة تواصل يدعمه الواقع التاريخي الذي يثبت وجود تيارٍ فارسيٍّ حاول إلباس المسألة الثقافية الفارسية لبوسًا سياسيًّا عنصريًّا أشتهر بـــ (الشعوبية)، وكان من أهدافه الاصطدام بالمكون العربي الإسلامي، وقلع الإسلام من جذوره العربية.

3-إنَّ الجمل المحكمة البناء والاستعمال المتمكّن للجمل المعقّدة التركيب أظهرت الدليل على تأثير اللغة العربية في اللغة الفارسية من خلال تغيير طبيعة العمليات اللسانية في الأنشطة الذهنية.

4-ينظر رجال الدين إلى اللغة العربية على أنَّها لغة الدين والثقافة والحضارة الإسلامية، وأنَّها واحدة من عوامل الوحدة بين المجتمعات والشعوب الإسلامية في جميع أنحاء العالم.

5-يَعُدُّ النظام الإيراني اللغة العربية، وسيلةً لتعزيزِ الشرعية في دول المنطقة.

6-إنَّ البُنى والتنظيمات الاجتماعية الإيرانية تؤثِّر في البنى والتراكيب والاختيارات اللغوية.

الخاتمة

في هذه المقاربة التحليلية (تأثير اللغة العربية في المكوّن الثقافي الإيراني) قمتُ بتشريح اللغة العربية كلغةٍ ثانية، تنطوي على فكرةٍ مفادها أنَّ بناء النظام اللغوي الخاص بها في التكوين الثقافي الإيراني عملية دينامية حركية تتألف من تغيراتٍ ذهنية. وهو تأثيرٌ يبدو في بعض ملامحه باتجاه احتمالية تلاشي تأثير اللغة العربية كظاهرةٍ مفاهيميةٍ وظاهرةٍ لسانيةٍ في إيران بانعكاسها على استعمال اللغة، وتقليص التعرُّض اللغوي، وطمس المعلومات مما يؤدي إلى تضاؤل المفردات وانحدار في بعض مهارات اللغة. ولكن انطلاقًا من هذه المقاربة فإنَّه على الرغم من نشاطِ إيران باتجاه تصفية اللغة الفارسية من العربية ومحاربتها ونشاطها باتجاه التأثير العكسي، فإنَّ تأثير اللغة العربية وعمليات تطورها تتجه نحو عمقٍ سلسلة التطور هذه بتأثير النواظم الثلاثة: اللغوي، والأدبي، والأيديولوجي، ودورها الحاسم في إنضاج التداخل الثقافي العربي-الإيراني، والدفع به إلى مستوى التأثير من دون أن يفقد المسار خصوصيته الذاتية. مثّلت هذه النواظم محفزّاتٍ ذاتيةً لحركة التداخل، فالناظم اللغوي دفع الإيرانيين إلى التفاعل والاندماج ضمن عملية التداخل، كما كان للناظم الأدبي أثره البالغ في اكتمال دورة التداخل ومن ثَمَّ التأثير. فلم يقتصر أثر اللغة العربية على الأدب الفارسي وحده وإنَّما تعدّاه إلى الثقافة عمومًا، بالرغم من محاربتها. وكذلك الناظم الأيديولوجي لنقل الفكر والثقافة، فقد أشاعت الثقافة العربية الإسلامية في المجتمع الإيراني عطاءً، بل أحدثت انقلابًا يمكن ملاحظة تجلّياته عبر مسارٍ زمنيٍّ مستمرٍّ، وتفاوت ذلك العطاء في الكمِّ والقيمة الحضارية.

قائمة المراجع

أولًا-المراجع باللغة العربية

ابن خلدون، عبد الرحمن. (2001). *مقدمة ابن خلدون.. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*. تحقيق: خليل شحادة، سهيل زكار..1. لبنان، بيروت: دار الفكر. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/3dEp7Du

أحمد، جابر. (2010). *إيران بين التنوع القومي وشمولية القومية الواحدة*. بيروت: دار الكنوز الأدبية.

إذاعة طهران، (2019، يناير 14). نشأة الشعر الفارسي والعصر الاسلامي ومسيرته وتطوره. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/3lV7MKg

آذرشب، محمد علي. (2020، سبتمبر 06). أئمة شعر الغزل الفارسي: سعدي وحافظ. *ثقافات*. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/2ISfCX3

آل ربيع، عائض. (2017، مارس 08). صراع ضد اللغة العربية في إيران. *صحيفة الجزيرة*. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/3k7wTJv

آل قيس، قيس، ورجبي، نفيسة حاجي. (1433ه). القصائد العربية في دواوين شعراء الفارسية. *آفاق الحضارة الإسلامية*. أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية. السنة الرابعة عشر. (2). ص 5-6. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/2U35lug

الأندلسي، ابن حزم. (د. ت). *التقريب لحدِّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية*. بيروت: دار الكتب العلمية. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/2NWxbEj

باقري، محمد، وجهرمي، مهدي. (2011). *نقد الفكر الديني عند الشيخ مرتضى مطهري*. فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

بدوي، أحمد. (2017). *سيبويه: حياته وكتابه*. لندن: مؤسّسة هنداوي للبحوث والنشر.

براون، إدوارد جرانفيل. (د. ت). *تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي*. (ترجمة إبراهيم الشواربي). (ط2). القاهرة.

بشير، خالد. (2020، يناير 08) كيف ينظر الفرس إلى العرب. *حفريات*. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/2O0GQK8

البعلبكي، منير. (1992). *معجم أعلام المورد. موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاةٌ من «موسوعة المورد»*. بيروت: دار العلم للملايين.

بوجلة، يوسف. (2007). *تأثُّر الأدباء الفرس بالأدب العربي في القرون الإسلامية الأولى*. مذكرة ماجستير في قضايا الأدب والدراسات المقارنة. كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر. ص 51.

بوقمرة، عمر. (د. ت). التعدُّد اللغوي - قراءة في المصطلح والمفهوم والمظاهر. *مجلة الصوتيات*، حولية أكاديمية دولية محكمة متخصّصة. الجزائر: مخبر اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة 2 لونيسي علي. (19). ص 105.

تشومسكي، نوعم. (2005). *اللغة والمسؤولية*. (ترجمة وتمهيد وتعليق حسام البهنساوي). (ط2). القاهرة: مكتبة زهراء الشرق. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/36tSjbJ

الجبوري، عماد الدين. (2014، فبراير 09). الشعوبية..تقلص العِرق الفارسي، *شبكة المزماة للدراسات والبحوث*. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/38cBPWF

چوبين، حسين. (د. ت). اللغة العربية في إيران. *حوزه موقع الحوزة الإعلامي*. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/3aecwFg

حميد، صالح. (2019، أكتوبر 12). إيران.. مشروع قانون يمنع تدريس الإنجليزية. *العربية نت*. أُسترجعت من الرابط https://bit.ly/3adcY7s

الخالدي، خلف. (2015). لمحات في أثر العربية على اللغات العالمية. *صحيفة اللغة العربية*. أُسترجعت من الرابط https://bit.ly/358mBjl

خلف، محمد حتيت. (2010). *الترجيع بندٌ في الشعر الفارسي وتكرار التقسيم في الشعر العربي المعاصر.. دراسة مقارنة*. مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية. جامعة واسط، كلية الآداب. (3). ص 144. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/3aURgFE

دامغاني، أحمد مهدوي. (2000)، *مقتطفات من أشعار سعدى شيرازى*، الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين در نوآوري وخلاقيت شعري.

دستور إيران الصادر عام 1979 شاملًا تعديلاته لغاية عام 1989. (ص10). أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/2vnEvT3

دويتشه فيله. (2019، سبتمبر 01). الشباب الإيراني-رفضٌ متزايدٌ لعقد الزواج باللغة العربية. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/2XtIIB4

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي. (1987). (تحقيق محمد عبده عزام). (ط5). القاهرة: دار المعارف.

زناتي، أنور. (2012، سبتمبر10). أثر اللغة العربية في اللغة الفارسية. *موقع الألوكة*. أُستُرجعت من الرابط https://soo.gd/hlQ0

السلمي، محمد بن صقر. (1439هـ). *الآخر العربي في الفكر الإيراني الحديث.. دراسة في ضوء الاستشراق الإيراني*. الرياض. المملكة العربية السعودية: المعهد الدولي للدراسات الإيرانية.

عزيزي، يوسف ياسين. (2019، أكتوبر 01). وطن أقسى من المنفى لمحة تاريخية عن الوضع الثقافي في عربستان. *الجديد*. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/3pQCxCp

عساكرة، عباس. (2006). *القضية الأحوازية: المقومات، التداعيات والتطلعات*. رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في العلوم السياسية. لندن: دار الحكمة.

عكرمة، مصطفى، والحمد، عبد الناصر. (2000). *مختارات من الشعر الفارسي*. (ترجمة عارف الزغلول). الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

العلمي، فاطمة. (2018، سبتمبر 22). علاقة اللغة بالفكر. *رواق نون*. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/30T4j5n

فال الدين، أحمد، (2019، مارس 04). قرنان من الصمت: كان الفاتحونَ أجلافًا حاربوا الفارسية وفرضوا العربية بحدِّ السّنان. *الموقع*. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/37tOXXs

قناة الكوثر. (2017، يناير25). أثر اللغة العربية في اللغة الفارسية. أُستُرجعت من الرابط https://soo.gd/pYxr

الكرباسي، محمد صادق محمد. (2012). *المدخل إلى الشعر الفارسي*. لندن: دائرة المعارف الحسينية، مركز الحسين للدراسات.

المتنبي، أبو الطيب. (1983). *الديوان*. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

مركز سمت للدراسات. (2019، يوليو 25). عرب إيران.. العمق الاستراتيجي المنسي. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/393DRMj

مزيد، بهاء الدين محمد. (2010). *من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي.. تبسيط التداولية*. القاهرة: دار شمس للنشر والتوزيع.

مقبل، علي أصغر فَهْرماني. (2011). فنّ المُلمَّع: حلقة الوصل بين الشعريْن العربي والفارسي. *مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها*، فصلية محكّمة. (6). اللاذقية: جامعة سمنان.

الملائكة، ملهم. (2016، فبراير 07). حضارة إيران التي تتآكل وتصبح عربية. *صحيفة العرب*. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/2PIHHzv

مهدي، أسامة. (2007، أغسطس 19). اغلاق المكتبة العربية الوحيدة في الأهواز واعتقال موظفيها. *إيلاف*. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/398UCFY

الموسوي، صباح. (2014). *المخاوف الإيرانية من عودة الأحواز إلى الهُوية السُنّيّة*. الأحواز: المؤسّسة الأحوازية للثقافة والإعلام.

هويدي، فهمي. (2014). *إيران من الداخل*. (ط4). القاهرة: دار الشروق.

يلوح، رشيد. (2014). *التداخل الثقافي العربي الفارسي من القرن الأول إلى القرن العاشر الهجري*. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/2tQSUqC

ثانيًا-المراجع باللغة الفارسية

خبر آنلاین. (27تیر1390 ه. ش). انتقاد مطهری به حداد عادل: زمان شاه هم جرات نمی‌کردند به این سرعت، لغات عربی را فارسی کنند. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/2DOQVro

خبرگزاری شبستان. (23 مرداد 1399ه. ش). صدقیان در نشست نگاه نقادانه به رسانه‌های عربی در ایران: روزنامه عربی حرفه ای در ایران نداریم. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/30P4C2v

دیوان الشاعر عنصري. (د. ت). *شماره 23* - در مدح امیر ابو یعقوب یوسف بن سبکتگین. *شماره 21* - در مدح سلطان محمود غزنوی گوید. *موقع کنجور*. أُستُرجعت من الرابط https://soo.gd/F7sR

شه گلی، احمد. (اسفند ماه سال 1393ه. ش)، فرهنگ عربی‌زدایی وعربی‌زدایی فرهنگی. *مجله معارف*. *شماره 107*، أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/3ksIFyf

ضیغم، علی (23 مرداد 1399 ه. ش). آدرس مجلات مرتبط با رشته زبان و ادبیات عربی و لینک. *انجمن ایرانی زبان و ادبیات عربی*. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/3fT6ony

طوسي، حكيم أبو نصر علي بن أحمد أسدي. (1354ه. ش، 1975). *گرشاسپ نامه، به اهتمام حبیب یغمائی*. (ط2). کتابخانه طهوری.

قاسمی، سپهر. (3 خرداد 1398ه. ش). زبان فارسی؛ گرفتار بازی‌های سیاسی. *بی بی سی فارسی*. أُستُرجعت من الرابط https://bbc.in/33Lqlue

گرگانی، فخر الدین أسعد، وورامین، ویس. (1349ه.ش، 1970). *تصحیح ماگالی تودوا -الکساندر گواخاریا*. انتشارات بنیاد فرهنگ ایران.

مشاوره تحصیلی هیوا. راهنمای انتخاب رشته زبان وادبیات عربی ظرفیت و دانشگاه های پذیرنده

كنكور انسانی. (د. ت). أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/35WtPay
نفیسی، سعید. (1364 ه. ش، 1985). *دیوان انوری*. (ط3). پیروز: انتشارات سکه.
واژەگاه دربارە زبان و ترجمه. (شهریور 1392ه.ش). معرفی 14 فرهنگ لغت فارسی _ عربی. أُستُرجعت من الرابط https://bit.ly/31MuMlR